أهل البيت ، لأنهم مسلمون أمرهم وثقتهم للحميد المجيد الـــذى يعطـــى بدون أسباب ونرى نتائج بدون مقدمات ، فهذا كله مخالفا لمنطق العقـــل البشرى لأنه فوقه بمراحل كثيرة ، والثقة بالله تجعل المؤمـــن يتغـــاضى عن السير فيه خصوصا أمام مواقف الإبتلاء هذه .

الموقف الرابع

إبتلاء يوسف الصديق عليه السلام فى غياهب السجن

فضل يوسف عليه السلام السجن بدلا من أن يغويه نساء مصر فقال القرآن حاكيا عن لسانه

{ قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عني كيـــدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين }[1] لكـــن السجن هو السجن وطبيعته ينفر منها البشر ، مهما كانت درجاتهم ورفعتهم ، فتمنى يوسف عليه السلام أن يخرج من السجن ، وتعلقت أمنيته ببعض البشر الذى ظن فيهم أنهم سيخرجون منه قريبا وما كان ليوسف الصديق عليه السلام أن يفعل ذلك وهو النبى الصديق إبن الإنبياء الصديقين ، حيث أنه قاس بالعقل ، وأخذ بأسبابه ، وقاس على ذلك بمنطق العقل ، أن هذا الخارج من السجن لعله يذكره بخير ، عند الملك ، لكن من تعلق بالبشر فكأنه قبض بيده الماء ، لأن رب البشر موجود سبحانه وتعالى هو الأولى بالمناجاة وبطلب العون ، ثم بعدها نأخذ بالأسباب التى يسوقها الينا

(١) يوسف آيه ٣٣

سبحانه وتعالى ، ثم نتوكل على رب الأسباب . وأرى أنه لا يليق أن نعتقد فى يوسف الصديق هذا ، أى تعلقه بغير الله أو نسيانه لربه ، سوى أن نقول أن النبى عبارة عن بشر يوحى اليهم ، والبشرية يرد عليها أى شىء بشرط ألا يتعرض ذلك مع عصمة الأنبياء قال تعالى { وقال للذى ظن أنه ناج منهما أذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين }[١]

قال الطبرى : حدثنا أبن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن إبن عباس مرفوعا قال : قال النبى ﷺ (لولم يقل - يعنى يوسف - الكلمة التى قال ما لبث فى السجن طول ما لبث حيث يبتغى الفرج من عند غير الله[٢]

لكن إبن كثير قد ضعف تلك الرواية (لأن رواية سفيان بن وكيع ضعيفة وإبراهيم بن يزيد أضعف منه أيضا ،وقد روى عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو فى غير هذا الموطن ، والله أعلم[٣] هذا بالنسبة للرواية التى قدحت فى نسيان يوسف لربه أما بالنسبة إذا أخذنا ذلك من وجهة أخرى فإن ذلك يترتب عليه وجهان أولهما أن تمسكه عليه السلام بغير الله كان مستدركا عليه ، وتقريره من وجوه : الأول : أن مصلحته كانت

(١) سورة يوسف آيه ٤٢

(٢) ابن جرير الطبرى : تفسير الطبرى : ج١(٢)ص٢٢٣

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العيظم ج(٢)ص ٤٧٩

فى أن لا يرجع فى تلك الواقعة الى أحد من المخلوقين وأن لا يعرض حاجته على أحد سوى الله ، وأن يرجع فى تلك الواقعة الى أحد من المخلوقين وأن لا يعرض حاجته على أحد سوى الله ، وأن يقتدى بجده إبراهيم عليه السلام ، فانه حين وضع فى المنجنيق ليرمى الى النار جاءه جبريل عليه السلام وقال : هل من حاجة ، فقال أما أليك فلا ، فلما رجع يوسف الى المخلوق لاجرم وصف الله ذلك بأن الشيطان أنساه ذلك التفويض ، وذلك التوحيد ، ودعاه الى عرض الحاجة الى المخلوقين ، ثم لما وصفه بذلك ذكر أنه بقى لذلك السبب فى السجن بضع سنين ، والمعنى أنه لما عدل عن الإنقطاع الى ربه الى هذا المخلوق عوقب بأن لبث فى السجن بضع سنين ، وحاصل الأمر أن رجوع يوسف الى المخلوق صار سببا لأمرين : أحدهما : أنه صار سببا لإستلاء الشيطان عليه حتى أنساه ذكر ربه . الثانى : أنه صار سببا لبقاء المحنة عليه مدة طويلة

(الوجه الثانى) أن يوسف عليه السلام قال فى إبطال عبادة الأوثان (أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) ثم أنه ها هنا أثبت ربا غيره حيث قال (أذكرنى عند ربك) ومعاذ الله أن يقال إنه حكم عليه بكونه ربا بمعنى كونه إلها ، بل حكم عليه بالربوبية كما يقال رب الدار ، ورب الثوب على أن إطلاق لفظ الرب عليه بحسب الظاهر يناقض نفى الأرباب[1] والمحقق المتأمل فى هذا الموقف الإبتلائى يجد أنه من الجائز

(١) الرازى : مفاتيح الغيب ج١(٢)ص١٤٨

طلب العون والمساعدة من الغير فى حالة دفع الظلم عن النفس أو عن الغير ، بإعتباره سببا ، والله أمرنا بالأخذ بالأسباب ، كى يمكننا الوصول الى مأربنا ،والقياس العقلى الذى إتبعه يوسف عليه السلام هو جائز وروده على نبيا فيه جزء بشرى ، يريد الخلاص مما أوقع هؤلاء الظالمون به ، لكن ثقته بالله كانت متواجده معه دوما ، بدليل ثناء الله عليه أنه كان من المخلصين ، ,ان الله سبحانه وتعالى لم يوجه إليه مؤاخذه ولا عتاب يقدح بموقفه هذا فى السجن ،وأحسن ما كتب فى هذا الموقف هو أن التأويل قد تحقق (وان الأمر قد قضى على ما أوله يوسف . ويترك هنا فجوة ، نعرف منها أن هذا كله قد كان . ولكن الذى ظن يوسف أنه ناج فنجا فعلا لم ينفذ الوصية ، ذلك أنه نسى الدرس الذى لقنه له يوسف ، ونسى ذكر ربه فى زحمة حياة القصر وملهياتها قود عاد اليها ، فنسى يوسف وأمره كله)[1]

١ سيد قطب : فى ظلال القران ج١(٢) ص١٩٩٢

الموقف الخامس

موقف عزير بمروره على القرية الخاوية بعد أن أعتدي بختنصر على بيت المقدس وأثر أهله ، خرب هذه القرية وأصبحت خالية من السكان وأصولها مهدمة لدرجة أن عزير الرجل الذى كان من بنى إسرائيل عندما مر بها قاس بعقله البشرى من إستبعاد رجوع هذه القرية الى حالها مرة أخرى ، وتعجبه هذا نبع من هذا القياس المنطقى ، مبنيا على ما رأته عينه من خراب تلك القرية ، لكن ثقته بالله كانت موجودة بقلبه ، ولم يدرك تلك الثقة ويتنبه اليها إلا أن رأى بنفس العين التى رأت خراب القرية ، رأت أيضا عمارها من جديد لكن بعد مائة عام ، قال تعالى ، {أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوما قال بل لبثت مائة عام فأنظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وإنظر الى حمارك ولنجعلك أيه للناس وأنظر الى العظاتم كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له ، قال أعلم أن الله على كل شيء قدير[١]

قال إبن كثير :لما مر عزير على بيت المقدس بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها (وهى خاوية) أى ليس فيها أحد من قولهم خوت الدار

(١) البقرة ٢٥٩

وقوله (على عروشها) أى ساقطة سقوفها وجدرانها على عرصاتها فوقف متفكرا فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة وقال (أنى يحى هذه الله بعد موتها) ؟ وذلك لما رأى من ثورها وشدة خرابها وبعدها عن العود الى ما كانت عليه قال تعالى (فأماته الله مائة عام ثم بعثه) قال وعمرت البلدة بعد مضى سبعين سنة من موته وتكامل ساكنوها وتراجع بنو إسرائيل اليها[1] ويمكن أن يكون سؤال عزير (أنى يحيى هذه بعد موتها) كان وراءه شك فى إحياء أموات هذه القرية ، ولكن هذا مستبعد ، لأن ذلك يحملنا على أن نقول أنه كان شاكا فى قدرة الله عز وجل ، قال القرطبى (قوله تعالى (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) معناه من أى طريق وبأى سبب ، وظاهر اللفظ السؤال عن إحياء القرية بعمارة وسكان ، كما يقال الآن فى المدن الخربة التى يبعد أن تعمر وتسكن ، أنى تعمر هذه بعد خرابها ، فكأن هذا تلهف من الواقف المعتبر على مدينته التى عهد فيها أهله وأحبته . وضرب له المثل فى نفسه بما هو أعظم مما سأل عنه ، والمثال الذى ضرب له فى نفسه يحتمل أن يكون على أن سؤاله إنما كان على إحياء الموتى من بنى آدم ، أى أنى يحيى الله موتها ، وقد حكى الطبرى عن بعضهم أنه قال : كان هذا القول شك فى قدرة الله تعالى على الإحياء فلذلك ضرب له المثل فى نفسه ، قال ابن عطية : وليس يدخل شك فى قدرة الله تعالى على إحياء قرية بجلب العمارة إليها وإنما يتصور الشك (من جاهل) فى الوجه الآخر ، والصواب ألا يتأول فى الآيه شك .[2]

(١) ابن كثير ج(١)ص٣١٤

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مكتبة الغزالى ، ج٣ص٢٩٠

فهذا الموقف من عزير كان الأولى فيه أن يستبعد البرهان العقلى : والمنطق الوجدانى ، بل الأولى أن يكون الثقة الموجودة لديه بالله هى الظاهرة على أى شىء آخر ، ولذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن يريه إحياء هذه القرية بالتجربة وبعينه التى رأت خراب القرية ، حتى يكون على يقين ويزداد يقينه أكثر من أن الله على كل شىء قدير .

"قال السيد قطب (قوله أنى يحيى هذه الله بعد موتها) كي تدب الحياة فى هذا الموت فأماته الله مائة عام . ثم بعثه " لم يقل له كيف . إنما أراه فى عالم الواقع كيف ؛ فالمشاعر والتأثرات تكون أحيانا من العنف والعمق بحيث لا تعالج بالبرهان العقلى ، ولا حتى بالمنطق الوجدانى ، ولا تعالج كذلك بالواقع العام الذى يراه العيان ، إنما يكون العلاج بالتجربة الشخصية الذاتية المباشرة ، التى يمتلىء بها الحس ، ويطمئن بها القلب ، دون كلام [1] ولذلك عندما بعثه الله ، وأدرك أن موته كان آيه وإحياءه كان آيه وبقاء هذا الطعام على صورته وحالته كان آيه وإحياء حماره وهو يرى ذلك بأم عينه ، كل ذلك جعله يجزم ويدرك ، أن الله على كل شىء قدير ، فتحققت ثقته بالله بعد هذا التبين وبعد أن قاس بعقله مسبقا متعجبا مستبعدا ممن يقدر على إحياء وإعمار هذه القرية الخاوية .وبشهادته بين الماضى والحاضر قال (اعلم أن الله على كل شئ قدير) أى قادر على الإحياء بعد الإماتة والإعمار بعد الخراب .

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن الكريم : دار الشروق ، ص٢٩٩-٣٠٠

الموقف السادس

بشارة زكريا عليه السلام بالولد وإبتلاءه بسماع هذا الخبر قام نبى الله زكريا عليه السلام بكفالة مريم البتول ، ورعايتها وتربيتها ، وتنشأتها فى جو روحانى دينى بعيد عن أعين الناس ، وكان ذلك فى محراب منعزل ، وكان عندما يدخل عليها يجد عندها رزقا هو لم يأتى به ، وهو على يقين أن أى بشر لا يجرأ على أن يدخل هذا المكان ويأتيها بهذا الرزق ، ولذلك تعجب وإندهش وسألها عن ذلك ، فأجابته بأن هذا الرزق هو من عند الله ، لأن الله يرزق من يشاء بغير حاسب ، ولذلك تنبه زكريا عليه السلام بأن الله يعطى أشياء بدون مقدمات ويعطى مسببات بدون أسباب فدعى ربه من وقتها بأن يرزقه الولد ، رغم شيخوخته وكبر سنه ، ورغم يقينه بأن زوجته كانت عقيم ، قال تعالى { فتقلبها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ،هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء }[1]

قال الفخر (عندما سألها عن أمر تلك الأشياء ثم انها ذكرت له أن ذلك من عند الله فهنالك طمع فى إنخراق العادة فى حصول الولد من المرأة العقيمة الشيخة العاقر وذلك يدل على أنه ما وقف على تلك الأحوال إلا بإخبار مريم[2]

(١) سورة ال عمران ايه ٣٧-٣٨

(٢) الفخر الرازاى : مفاتيح الغيب ج٧ ص٣٣

ورغم يقين زكريا عليه السلام أن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، ويعطى الأشياء بدون أسباب ، ويهب المعلولات بدون علل ، إلا أنه عندما وقع على أذنيه خبر البشارة بالولد تعجب وإستغرب الخبر ، وقاس بعقله أن ذلك كيف يكون والأسباب معطلة ، والعلل ليست موجودة ، حيث أنه شيخ كبير ، إشتعل الرأس شيبا ، وإمرأته عقيم ،كان ذلك بقياس العقل وبمنطق البشر المحدود ، لكن زكريا عليه السلام نبى تقته بالله كبيرة وموجودة ، ويبدو أن سماع خبر البشارة لأول وهله تجعل الإنسان يتعجب ويجادل فى أشياء لا يصح الجدل فيها ولا يجب أن يكون هناك تعجبا من قدرة الله عز وجل ..

قال الشيخ الرازى : لما كان زكريا عليه السلام هو الذى سأل الولد ، ثم أجابه الله تعالى إليه فلم تعجب منه ولم إستبعده ؟

الجواب) لم يكن هذا الكلام لأجل أنه كان شاكا فى قدرة الله تعالى على ذلك والدليل عليه وجهان (الأول) أن كل أحد يعلم أن خلق الولد من النطفة إنما كان على سبيل العادة لأنه لو كان لا نطفة إلا من خلق ، ولا خلق إلا من نطفة ، لزم التسلسل ولزم حدوث الحوادث فى الأزل وهو محال ، فعلمنا أنه لابد من الإنتهاء الى مخلوق خلقه الله تعالى لا من نطفة أو من نطفة خلقها الله تعالى لا من إنسان

(الوجه الثانى) أن زكريا عليه السلام طلب ذلك من الله تعالى ، فلو كان ذلك محالا ممتنعا لما طلبه من الله تعالى)[1] وبذلك ثبت يقين

(١)المرجع السابق ج٧ ص٤٤

زكريا عليه السلام من أن ثقته بالله كانت موجودة ثابته ، وما ورد عن تقبله الخبر ببشارة الولد ، بهذا القياس العقلى البشرى ، هو مدى وقوع الخبر على أذنيه فجأة من الملائكة ، وهذا لشدة فرحه بهذه البشارة ، لكن عندما كان زكريا عليه السلام ليس كالبشر العادى بل انه النبى المرسل لبنى أسرائيل كان ذلك محتاج الى تفسير الموقف هذا ، وأيضا عندما طلب من ربه أن يثبت له هذه البشارة بأمارة وعلامة ، فطلب منه حبس صوته مدة ثلاثة ايام ، وكان ذلك صياما معهودا عند اليهود بدليل قول الله تعالى عن مريم (... فإما ترينى من البشر أحد فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم أنسيا)[1] فكأن صيام زكريا لهذه الثلاثة أيام بلياليها كان تكفيرا عن تقبله لبشارة الولد بهذا التعجب والإستغراب ، قال تعالى : {قال رب إجعل لى آيه قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا }[2] وقال تعالى{قال رب اجعل لى آية قال ايتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا }[3]

وبذلك يمكننا أن نتعلم من هذا الموقف من أن ثقة المؤمنون بربهم لا تنزع أبدا ، وما يرد عن المؤمنين من أقيسه عقلية يواجهونها أمام وتوقفهم فى مواقف بشرية يكون فيها الخبر من السماء أكبر منهم ، فيندهشون ويتعجبون ، لا من قدرة الله عز وجل ، ولكن من هول الخبر

(١) سورة مريم آيه ٢٦

(٢) سورة آل عمران من آيه رقم ٤١

(٣) مريم ايه ١٠

وكبره على تصور العقل وإدراكه له لكن ثقتهم بالله تجعلهم يجزمون أن الله على كل شيء قدير وأنه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون ، وهو القادر على ان يجعل الأشياء موجودة بدون أسباب وبدون علل ومقدمات تبرر تواجدها فى هذا الكون لأنه على كل شيء قدير فقدرته مطلقة ، ولا حد لها .

الموقف السابع

بشارة مريم عليها السلام بإنجابها الولد

ذكرنا أن مريم البتول كانت فى معزل عن الناس ، وكانت فى رباية نبى من انبياء الله ، وهو زكريا عليه السلام وكانت ترزق،بالطعام من عند الله ، بدون سبب ولا علل من التى يعرفها البشر لا أحد يأتى به إليها ، ولا هى إشترته ولا قامت بزراعته ولا بأى شيء من هذا الاسباب التى تأتى بهذا الرزق ، فكرمها الله بهذه الكرامة ، وهى فى المحراب ، فأدركت مريم ان الله على كل شيء قدير وأنه يرزق بغير حساب من يشاء ، وهذا ما حمل زكريا عليه السلام بأن يدعو ربه بالولد .

لكن مريم تعرضت لموقف إبتلائى من قبل الله عز وجل بتبشيرها أنها ستلد ولدا وهى العذراء التى لم تتزوج ، فتقبلت هذا الخبر بالتعجب والدهشة والإستغراب وتفوهت بأن الأسباب المؤدية الى هذا منعدمة ، فهى لم يمسسها بشر، فكيف تنجب وتلد بدون ذكر ، وهذا هو عرف الناس وما تعارفو عليه من أن الأولاد يأتون من رجل وإمرأة ، ونسيت مريم ما كان لها منذ قليل أن الله يرزق من يشاء بغير حساب وبدون

أسباب وبدون علل ، لأنه على كل شيء قدير ، قال تعالى{ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب }[١] وقال تعالى{ قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر }[٢]

وقال تعالى {قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر لم أك بغيا }[٣]

(إنها قالت ذلك لأن التبشير به يقتضى التعجب مما وقع على خلاف العادة وقد قررنا مثله فى قصة زكريا)[٤] حيث أنه تعجب أيضا من بشارته بالولد ، لكن هو أى زكريا عليه السلام كان موجودا هو وزوجه ، فخروج الولد منهما أمر غير مستبعد حتى ولوكانا عجوزين عقيمين ، أما مريم فالتعجب وارد حتى ولو كانت مرزوقة قبلها بدون أسباب ،بالرزق الذى كان بمحرابها ، حيث أنها أنثى ستلد ، بدون مجامعتها بذكر ، فدهشتها كانت معذورة فيها حيث العادة لطبائع البشر ، لا لتعجب من قدرة الله عز وجل ، وقيل : ما أستبعدت من قدرة الله شيئا ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد : أمن زوج فى المستقبل أم يخلقه الله إبتداء ؟[٥] ورغم ذلك أراد الله سبحانه أن يعلمها أن طلب الأسباب لإيجاد الأشياء ليس فى ملكه {لأنه على كل شيء قدير} ولذلك طلب

(١) آل عمران : آيه ٣٧

(٢) آل عمران من آيه ٤٧

(٣) مريم آيه ٢٠

(٤) الرازى : الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ج٧ ص٥٩

(٥) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن : ج٢ ص٩٢

منها فى حالة وهنها وتعبها أثناء الوضع لطفلها عيسى عليه السلام بأن تأخذ بالأسباب وأن تهز جزع النخلة إذا أرادت أن تطعم ، فهز جزع النخلة ، أمر عسير بالنسبة لإمرأة حالتها المخاض من وهن وتعب ، ولكن الغرض هو تذكيرها بأن الله يرزق من يشاء بغير حساب فهى كانت ترزق بغير حساب فى محرابها ، وكانت فتاة غير متعبة لا يألمها حمل ولا مخاض ، أما هى الآن فهى فى حالة مخاض وحالتها الصحية متعبة ورغم ذلك إذا أرادت أن تطلب رزقها ورزق مولودها فلتتطرق الأسباب بهز جزع النخلة ، لتساقط عليها رطبا جنيا قال تعالى { وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا، فكلى وإشربى وقرى عينا }[1]

فثقة مريم فى ربها كانت موجودة وثابتة بدليل أنها لم تعاتب أو تلام من الله فى حالة تعجبها ببشارتها بالولد ، وانها كانت من قبل تعترف بان الله يرزق من يشاء بغير حساب وما صدر عنها من تعجب ودهشة بأنها ستلد ولد هو من تعجب خرق العادة البشرية ، وقياسها العقلى البشرى المحدود الذى يظهر فجأة أمام سماع خبر لا يدركه العقل ولا يتصوره ، لكن الثقة بالله تعود بالقلب المؤمن المطمئن الى سكينته والى رشده حتى يتذكر يقينه وثباته ويبقى عليها ثقة بالله وفى قدرته وفى عطاءاته التى تأتى بأسباب أحيانا ، وبدون أسباب أحيانا أخرى ، لأنه على كل شىء قدير .

---

١ مريم آيه ٢٥-٢٦

" وخصوصا أنه قد جاءها الجواب ، بردها الى الحقيقة البسيطة التى يغفل عنها البشر لطول ألفتهم للأسباب والمسببات الظاهرة لعلمهم القليل ، ومألوفهم المحدود .

قال : كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون .وحين يرد الامر الى هذه الحقيقة الأولية يذهب العجب ، وتزول الحيرة ، ويطمئن القلب ، ويعود على نفسه يسألها فى عجب : كيف عجبت من هذا الأمر الفطرى الواضح القريب ، وهكذا كان القرآن ينشىء التصور الإسلامى لهذه الحقائق الكبيرة بمثل هذا اليسر الفطرى القريب ، وهكذا كان يجلو الشبهات التى تعقدها الفلسفات المعقدة ، ويقر الأمر فى القلوب وفى العقول سواء[1]

١ سيد قطب : الظلال ج١ ص٣٩٨

الموقف الثامن

إبتلاء النبى ﷺ بحديث الإفك فى حق أحد زوجاته

إبتلى النبى ﷺ فى أحد أزواجه وهى السيدة عائشة -رضى الله عنها - حيث قال فيها المنافقون ماقالوا ، وهى الطاهرة العفيفة ، التى زوجها الله سبحانه للنبى ﷺ وبحديث الإفك هذا قد كلف النبى ﷺ والصحابة والأمة الإسلامية ألاما لا حد لها ، وما أعظمه ألام مس الأعراض خصوصا بيت النبوة ، فقد تعلق قلب النبى ﷺ وقلق زوجه السيدة عائشة رضى الله عنها التى يحبها ، وقلب أبى بكر الصديق وزوجه ، وقلب صفوان بن المعطل شهرا كاملا ، علقها بحبال الشك والقلق والألم الذى لا يطاق ، ورغم أن النبى ﷺ كان على يقين وثقة من طهارة زوجته ، وعفتها ، إلا أنه ﷺ أخذ حديث المنافقين فى حق زوجته ، بمقياس العقل والمنطق ، ولكنه ﷺ لم يصل الى نتيجة يقينيه تبرأ زوجته أو تدينها فكان موقفه ﷺ متأرجحا بين هذا وذاك، ويغلب على موقفه ﷺ أنه كاد يرجح ويصدق ماقيل ، إلا أن ثقته بزوجه وحبه لها وتأكده من عفتها جعله ﷺ يتروى ويتدبر أمره ويشاور فيها صحبه ، المقربين مثل أسامة بن زيد وعلى بن أبى طالب وبعض الجوارى ، وكان يدخل عليها وهى مريضة ، فيسأل عنها ، بكلمات قليلات لا تعبر عن الحب العظيم الكبير الذى كان يحمله لها فى قلبه ، فكان يقول ﷺ فى عيادتها ،(كيف تيكم) وهى مريضة لا تشعر بشىء مما يحدث حولها ويقال فيها " حتى

دخل عليها النبى ﷺ ذات يوم فقالت جلس ولم يجلس عندى من يوم مـا قيل لى ما قيل قبلها ، وقد مكثت شهر الا يوحى إليه فى شأن بشيء .

قالت فتشهد ثم قال : يا عائشة ، لقد بلغني عناك كذا وكـذا فـإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبـى اليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه.

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منـه قطرة وقلت لأبى أجب عنى رسول الله ﷺ قال : والله ما أدرى ما اقول لرسول الله ﷺ قلت لأنى أجيبى عنى رسول الله ﷺ فيما قـال ، قـالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ قالت وأنا جارية حديثة السـن لا أقرأ كثيرا من القرآن ، فقلت والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث بـه الناس ووقر فى أنفسكم وصدقتم به لئن قلت لكم أنى برئية والله يعلـم أنى لبرئية لا تصدقونى بذلك ، ولئن أعترفت لكم بأمر والله يعلـم أنـى لبرئية لتصـدقنى ، والله ما أجـد لى ولكم مثـلا إلا أبا يوسف إذ قـال (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) ثم تحولت على فراشـى وأنا أرجو أن يبرئنى الله ولكن والله ما ظننت أن ينزل فى شأنى وحيـا يتلى ، ولا أنا أحقر فى نفسى من أن يتكلم بالقرآن فى أمرى ، لكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئى الله بها ، فو الله مـا رام مجلسه ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله عليـه الـوح وأخذه كان يأخذ من البر حاء حتى أنه ليتحرر فيه مثـل الجمـان مـن

العرق في يوم شات ،فلما سرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان اول كلم تكلم بها أن قال لى يا عائشة أحمدى الله فقد برأك الله فقالت لى امى قومى الى رسول الله ﷺ فقلت ، لا والله لا أقوم اليه ولا احمد الا الله [1] فأنزل تعالى قوله (إن الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم)[2] الى قوله تعالى (أن الذن يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين أمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[3]

فثقة النبى ﷺ فى ربه كانت موجودة حيث سبحانه وتعالى زوجه ، بأشرف وأطهر وأعف النساء ، ولم يجزم النبى ﷺ ويصل الى نتيجة الاتهام لزوجته طوال هذا الشهر المؤلم على أعصابه ونفسه وقلبه ، بدليل أنه كان يعودها فى مرضها ، وبدليل أنه كان يستشير أقرب المقربين الى قلبه فيها ، ولم يجزم القول ويحكم عليها بمجرد حديث إفك وكذب قيل فى حقها ، وهذا الموقف منه ﷺ هو مجرد وقفة بشرية قيست بالعقل والمنطق ، أمام وابل من أحاديث الافك ، تقال فى أشرف النساء وأطهرها من بيت النبوة خصوصا أن السيدة عائشة كانت أحب النساء الى قلب النبى ﷺ فالنبى ﷺ بشر كباقى البشر الذين يؤلمهم الخوض فى أعراضهم فمن حقه ما صدر منه ﷺ من الشورى فيها ، ومن عيادتها بنوع من التجاهل وعدم العطف ، لكن الثقة

(١) البخارى : صحيح البخارى ، ج٢ ص١٠٥

(٢) سورة النور ايه ١١

(٣) النور ٢١

بالله عز وجل بأنه أختارها سبحانه وتعالى له كانت موجـــودة بقلبـــه ، والحب لها كان عظيما وكبيرا ، وهذا ما جعله ما يتألم نفسيا من تلـــك الكلمات الخبيثات التى قيلت فى حقها فرضى الله عن جميع اهل البيـــت وسلاما ورحمة عليهن .

الموقف التاسع

إبتلاء النبى ﷺ بإبطال عادة عدم الزواج من حليلة الإبن المتبنـــى إعتاد العـــرب بأن يحرموا الزواج من زوجة الإبن المبتنى ،حيـــث أن التبنى كان عرفا بينهم ، بحيث يرث الإبن المبتنى ، ويحرم أزواجه على الأب الذى تبنى ، ويكون للإبن المبتنى حقوق مثل الإبن من الصلـــب ، فشاء الله سبحانه وتعالى بأن يبطل هذه العادة ، وشاء سبحانه أيضا بـــأن يكون أول من يبطلها هو النبى ﷺ ويكون ﷺ هو القائم بنفســـه علـــى إبطال تلك العادة ، فزوج إبنه المبتنى زيد بن حارثة ، من إبنة عمتـــه ، زينب بنت جحش وهى الشريفة النسيبة فى قومها وزيد كان عبدا تبنـــاه النبى ﷺ فكان يقال له زيد بن محمد ، وتم هذا الزواج رغم أنف زينـــب لكنها إرتضته حيث أنها تعلم أن لا إختيار لها أمام قضاء الله عز وجـــل وتوجيهات النبىﷺ وإرادته نحو هذا الشأن ، وعاشت معه على مضض حتى أمر الله سبحانه وتعالى بفك هذه الزيجة وقضى سبحانه بزواجـــها من النبى ﷺ فتحرج النبىﷺ من مواجهة الناس بهذا الأمر العظيم الذى لم يعتدوه ويعرفوه ، وأخفى فى نفسه هذا الأمر وكان ينصح زيـــد بـــن

حارثة بحسن العشرة لزوج زينب قياسا منه ﷺ على أن ذلك سيكون متمم لحسن العشرة أو على الأقل لإطالة فترة زواجهما حتى يفعل الله أمرا كان مقضيا ،

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال إن الآيه (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) نزلت فى شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضى الله عنهما . وقال إبن أبى حاتم حدثنا ابى حدثنا على بن هاشم بن مرزوق قال سألنى على بن الحسين رضى الله عنهما ما يقول الحسن فى قوله تعالى (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) فذكرت له ، فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكو اليه قال (اتق الله وأمسك عليك زوجك) فقال قد أخبرتك انى مزوجكها وتخفى فى نفسك ما الله مبديه)[1]

فالنبىﷺ لم يخفى هذا التشريع عن عمد مسبوق بإصرار ،ولكنه ﷺ ببشريته قاس أن مواجية الناس بهذا الأمر سوف يكون له شأن عظيم عليه وعلى زيد وعلى زينب رضى الله عنهما ولوكان النبىﷺ متعمدا الإخفاء لأخفى هذه الآيه " قال إبن جرير حدثنى إسحاق بن شاهين حدثنى خالد عن داود عن عامر عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ، لو كتم محمد ﷺ شيئا مما أوحى اليه من كتاب الله تعالى لكتم هذه الآيه (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٩١

تخشاه)[١] وكان النبى ﷺ يخفى قضاء الله ، عسى أن تنفع فيه شفاعته وتخشى الناس أن يضلوا بسبب إعتراضهم على أمر لم يألفوه ، وتشويع ما تعودوه ، ولكن من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فما له من هاد ، والله أحق بالخشية والرعاية من سواه ، لأن مألوف الناس وعاداتهم ليست أصلا لتشريع و لا أساسا لقانون ، والنبىﷺ أول من يهدم العقائد الفاسدة ، ويقوض الخرافات السائدة ، فيقيم بعدها صرحا من الحق ، ومنارا للشريعة السمحة[٢]

فثقة النبى ﷺ بربه كانت موجودة ، وهذه الثقة كان يعلم أنها لن تسبب له حرجا ولا خشية من الناس ، لأن خشيته لربه أقوى وأكبر من أى شىء ، وما أمهله قليلا ، هو أمله فى إصلاح زوجين على الله أن يطيل عشرتهم أو أن يجعل لهذا التشريع مخرجا يخفف خجله من الناس وهذا وإن دل فإنه يدل على بشريه النبى ﷺ وما تميز به من قياس عقلى مصاحب لمنطق رشيد محاط بالثقة بالله تسعفه وتنقذه من مواجهة أى مأزق أو موقف محرج أمام الناس الذين ينفرون من الشىء الجديد ، لأنهم ألفوا الذى تعارفوا عليه حتى وإن كان خطئا لا يرضى الله ورسوله ، لكن الله سبحانه تعالى محق الحق ومظهر تشريعه القويم الذى فيه المصلحة لكافة البشر ، حتى ولو تسبب ذلك فى إحراج النبىﷺ أمام الناس لأن الله عز وجل أحق بالخشية من الناس ، والله مبدى أى شىء يخفى

(١) المرجع السابق ص ٤٩١

(٢) محمد أحمد جاد المولى : قصص القرآن ص ٤٧٥

الموقف العاشر

إبتـــــلاء النبـــــى ﷺ مــــع إبـــــن أم مكتـــــوم

إبتلى النبى ﷺ بموقف أثناء قيامه بنشر الدعوة الإسلامية ، أثناء دعـــوة مشركى قريش الى دين الإسلام ، وكانوا عظماء القوم ، وترفاءه ، فأراد النبى ﷺ أن يقنع هؤلاء السادة فى الدخول فى الإسلام ، لأن إســـلامهم سيقود أتباعهم بالدخول فى الإسلام بالتبعية ، فهؤلاء يعـــزون الإســـلام ويقووه وهو فى مهد ظهوره ، فأتاه إبن أم كتوم وكان كفيـــف البصـــر يسأله عن أمور هذا الدين ، ويبدو أن عبد الله إبن أم مكتوم لم يفطن إلى إنشغال النبى ﷺ مع سادة قريش ،فإنشغل عنه بهم ، فعوتب من الله عز وجل فى ذلك قال تعالى (عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من إستغنى ، فأنت له تصـدى وما عليك الا يزكى ، وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فأنت عنـــه تلهى)[(١)] فقد قدم النبى ﷺ على هذا الفعل مع إبن أم مكتـــوم بعـد أن أدرك أن دعوة هؤلاء ودخولهم فى الإسلام سيكون فيها الأثـــر الطيـــب الكبير على الأخرين وعلى هذا الدين الحديث الظهور ، قياسا بعقل النبى ﷺ وببشريته التى كانت ترجح أمر على أمر طمعا فى إعزاز هذا الدين ونشره ، قال السيوطى : عن عائشة رضى الله عنـــها قـــال " أنـــزل الله سورة عبس وتولى فى غبن أم مكتوم الأعمـــى ، أتـــى رســـول الله ﷺ فجعل يقول : يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله ﷺ رجـــل مـــن

(١) سورة عبس أيات ١-١٠

عظماء المشركين ن فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ، ويقول ، أترى بما أقول بأسا ، فيقول : لا فى هذا أنزلت .

وأخرج بن سعيد بن منصور وعبد الله بن حميد وإبن المنذر عن أبى مالك فى قوله (عبس وتولى " قال جاءه عبد الله بن أم مكتوم فعبس فى وجهته وتولى ، وكان يتصدى لأمية بن خلف ، فقال الله { أما من إستغنى فأنت له تصدى }(١)

فتصدى النبى ﷺ لسادة قريش كان وراءه هدفا نبيلا ساميا ، وهو تفانى الداعى ﷺ فى مخاطبة السادة الذين فى إمكانهم إدخال أكبر عدد بهذا الدين من أتباعهم ، وإقناعهم يكون له شأن بخلاف المستضعفين من الفقراء والمساكين ، لكن الموازين البشرية لا قيمة لها عند الله سبحانه وتعالى ،حيث أن المستضعفين من الفقراء والمساكين هم الذين حملوا لواء هذا الدين فى مهده ، وكانت لهم الغلبة والنصرة بعد ذلك ، والثقة بالله جعلتهم يتمسكون بعرى هذا الدين فوثقوا بهذه العروة الوثقى المتينة التى حملتهم على الرفعة والنصرة على سادتهم ، وثقة النبى ﷺ بالله جعلته يميل ويحنو على هذه الطائفة المستضعفة لأنه كان منهم وكان يشرف بذلك فتحققت ثقته بالله مع تزكير الله فى هذا الموقف بحقيقة نصرته لهذه الطائفة المغلوبة على أمرها الذين أخلصوا النية لله وتمسكوا بهذا الدين ، وناصروه فتحقق لهم النصر ،فقال الله لهم{ كلا أنها تذكره }(٢)

---

(١) الامام السيوطى : الدر المنثور فى التفسير المأثور ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٩٠ ج٦ ص٥١٧

(٢) سورة عبس آيه ١١

سادسا

مواقف الابتلاء المتعلقة بالقياس العقلي فقط

ذكرنا أن للعقل مناطه الخاصة به ، وهو الاستدلال على وجود الله ووحدانيته ، وإستنباط الأحكام الشرعية من المصادر الأصلية فى الإسلام ، وإستخلاص القوانين الأخلاقية التى تنظم حياة الأفراد ، بعضها مع بعض وبين الإنسان وخالقه ، وبينه وبين نفسه ، إلى جانب النظر فى الكون من سمواته وأرضه ونجومه ، وايضا النظر فى الأنفس فكل هذه الجوانب يباح للعقل أن يعمل فيها ، ويجتهد ويكون له الكلمة والرأى.

أما النقل فله مناطه الخاص به ، والذى لا ينبغى للعقل أن يعمل فيه ، ولا أن يجتهد ألبته ، لأن موضوعات النقل التى اختص بها فوق قدرات العقل ، ألا وهى موضوعات الإيمان الخاصة بالذات الإلهية ، وأيضا كل من العلم بالملائكة ، والأنبياء والكتب الإلهية ، واليوم الآخر وما فيه من أحوال ، وقضاء وقدر الإنسان ، فكل هذه الموضوعات لا تدخل للعقل فيها ولا إجتهاد يستطيع أن يعمله فى هذه الموضوعات ، إلى جانب أركان الإسلام من عبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج والمعاملات فكلها أحوال وموضوعات توقيفية ، أوقفنا الشرع على حقيقتها وكنهها ، حتى الإحسان الذى يختص بالجوانب الشخصية المنفردة بالإنسان ، وهو المراقبة الإلهية ومراعاتها ، بحيث يعبد الإنسان ربه وهو مستحضر أن الله يراه ، فإن كان الإنسان لا يرى ربه ، فإنه يعبده مستحضرا تلك

الرؤية كأنه يراه لأن الله سبحانه وتعالى يراقبه ويراه بالفعل ، فهذه العلاقة لم يصل إليها العقل ، بقدراته المحدودة ، بل الشرع هو الذى أوقفنا عليها ، وهى درجة الإحسان مثلها مثل الإسلام والإيمان .

هذا الى جانب الحل والحرمة فى الشرع فالذى يقوم بهما هو الله سبحانه ، فمثلا الأعراض والدماء الأصل فيها هى الحرمة ، والذى يحل أى شىء منهما هو الله دون العقل ، وأيضا الأصل فى الأشربة والأطعمة والملبس هى الإباحة ،والذى يحرم شيئا منها هو الله دون العقل ، فلا مجال للعقل ألبته فى حل أو حرمة بل الشرع هو المسئول عن ذلك

أما المواقف الإبتلائية الإختبارية فقد اثبت فى الأوراق السالفة أن العقل ، لا يستطيع إدراك مدى ما وقع فيه العبد من بلاء هل هو خير أو شر ، لأن إبتلائه هذا هو إختبار سواء إبتلى بالتكاليف ، أو بالشدائد ، أو بالتعرض لموقف خارق ، لناموس الكون ، أو إبتلاء بخبر لا يتصورة ولا يدركه عقله ، فكل هذه المواقف من إستقبلها بالثقة بالله نجى وفاز ، ومن إستقبلها بعقله هلك وخاب ، وهذا ما سأثبته من أن الإبتلاء بمواقفه المختلفة لابد بأن يكون مصاحبا ومشبعا بالسكينة والثقة بالله عز وجل "فالواجب على جميع أهل العلم والإسلام أن يلزموا القصد للإتباع ، وأن يجعلوا الأصول التى نزل بها القرآن وأتت بها السنن من الرسولﷺ غايات للعقول ، ولا يجعلوا العقول غايات للأصول ، فإن الله عز وجل ورسوله ﷺ قد يفرق بين المشتبهين ويباين بين المجتمعين فى المعقول

تتعبدا وبلوى ومحنة ، ومتى ورد على المرء وارد من وجوه العلم لا يبلغه عقله أو تنفر منه نفسه ويناى عنه فهمه وتبعد عنه معرفته **وقف** عنده وأعترف بالتقصير عن إدراك علمه ، وبالحسور عن كنه معرفته ويعلم أن الله عز وجل ورسوله ﷺ لو كشف عن علة ذلك الحادث وأبان وأوضح عن سببه وعن المراد من مخرجه لأدركته عقولنا ولو كان كل ما أتى به الحكم من الله عز وجل والأمر بتعبده أتانا مكشوفا بيانه ، موضحا علته ، لم تكن للعباد بلوى ولا محنة ، وإنما المحن الغلاظ والبلوى الشديدة للأمور والفروض التى لا تنكشف عللها ليسلم العباد بها تسليما ويقفوا عندها إيمانا[1]

وهناك أمثلة عديدة لأفراد وجماعات لم يسلموا فى مواقف إبتلوا فيها وأطلقوا لعقولهم الإرادة والإجتهاد فى هذا الإبتلاء الربانى ، الذى أتاهم ليختبر إيمانهم وقدراتهم الإيمانية التى خذلوا بمواجهة هذا الإبتلاء بعقولهم ، وسوف أضرب بعض الأمثلة التى توضح مدى سقوط أصحاب تلك العقول ، فى مواقفهم الإبتلائية وتخاذلهم .

(١) جلال الدين السيوطى : صون المنطق ، ٦٩ – ٧٠

الموقف الأول

إبتلاء إبليس بالسجود لآدم عليه السلام

إبتلى إبليس لعنه الله بإبتلاء ربانى وهو السجود لآدم عليه السلام ، وكان إبليس من الجن الطائعين العبادين الذين وصلوا الى درجة التقوى والقرب من الله عز وجل ، لدرجة أنهم كادوا يكونون ملائكة فى الطاعة والإمتثال لله عز وجل ، ولكن الإغترار بالعبادة والتعجب بها يجعل العبد مضيعا لما قدم لنفسه من عمل صالح يقربه الى ربه ، وهذا ما فعله إبليس بالضبط فى موقفه الإبتلائى ، حيث أمره الله عز وجل بالسجود لآدم ،فإستعظم إبليس وإستكثر أن يفعل ذلك وهو الجنى الذى خلقه الله من عنصر النار ، وهذا المخلوق الذى يدعى آدم عليه السلام والذى خلق من تراب ممزوج بالماء فكان طينا ، وقاس إبليس بعقله هذا الأمر الذى وجه إليه من رب العالمين، وقال أنا مخلوق من نار، وهذا مخلوق من طين ، وعنصر النار أفضل من عنصر الطين ، فخلص الى نتيجة الرفض والإباء لأمر الله عز وجل من سجود عنصر النار لعنصر الطين ، ونسى هذا الملعون أن عنصري النار والطين هما مخلوقات من خلق الله عز وجل ، فرجوع الأفضلية لا تقاس بهذه الطريقة القاصرة بل ترجع الى خالق تلك العناصر من أنه سبحانه وتعالى هو الذى يفضل ويميز خلق على خلق وعنصر على عنصر ، لأنه فعال لما يريد ، ولا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالى ،

قال تعالى

{ وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ابى واستكبر وكان من الكافرين }[١] وقال تعالى { ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ، قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين }[٢]

قال تعالى { وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أسجد لمن خلقت طينا }[٣]

وقال تعالى {وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين }[٤]

وقال تعالى { وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى، فقلنا ياآدم إن هذا عدوا لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى }[٥]

فبدأت دائرة العداء والغواية منذ هذا الوقت ، بين إبليس الذى طرد من رحمة الله عز وجل ، وبين هذا العبد المخلوق من الطين الذى بسببه

---

(١) البقرة ايه ٣٤

(٢) الاعراف :ايه ١١-١٢

(٣) الاسراء :٦١

(٤) الكهف :٥٠

(٥) سورة طه أيه ١١٦

تم وحدث ما حدث لإبليس ، ولذلك رأى إبليس وفطن إلى أن غواية هذا المخلوق لا يمكن أن يتم إلا بما وقع فيه هو نفسه ، وهو التمسك بالعقلانية أمام أوامر الله ونواهيه ، أو تصدر العقل أمام أى موقف إبتلائى ربانى لأحد عباده ،فلجأ إبليس الى العسف على وتر العقل ، ومحاولة إغواء آدمعليه السلام وزوجه بالمنطق وبالعقل أمام نهى الله بالأكل من الشجرة فقال لهما بمنطق العقل : لا مبرر لهذا النهى من الأكل من الشجرة بالذات ، حيث أن كل شجر الجنة مباح الأكل منه ، فلماذا هذه الشجرة بالذات ، يحرم أكل ثمرها ؟ لابد وأن يكون هناك هدف من وراء ذلك وهو أن إلاهكم لا يريد أن تكونا ملكين أو أنكما خالدين قال تعالى{ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكون ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين }[١] وقال تعالى { فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى }[٢]

فكان المدخل لآدم وزوجه هو من مخاطبة عقليهما ، فى موقف إبتلائى متعلق بالتكاليف ، والتكاليف من أمر ونهى الواجب فيها أنها لا تناقش ، ولا تعلل ، بل تنفذ بحذافيرها ، وبمنتهى الطاعة العمياء ،

(١) الاعراف آيه : ٢٠-٢١

(٢) طه ١٢٠- ١٢١

ويكون فيها إستسلام تام لله عز وجل ، هذا الإستسلام مشبع بالسكينة القلبية ، والثقة بالله عز وجل ، فإذا خالف العبد ذلك فإنه سيقع ولا محالة فى المحظور ، والمخالفة لا تعنى الإمتناع عن الأمر ،أو الإقدام على النهى ، بل إن المخالفة بابها مناقشة الأوامر والنواهى والبحث عن عللها المخبئة والمستترة عند الله عز وجل ، وويل للمناقشين والمجادلين ، والمراجعين لأومر الله ونواهيه ، وها هو إبليس اللعين الذى ضرب لنا المثل الأول فى العصيان والفسق ، بمناقشته أمر الله وجدله، فإستحق اللعنة والطرد من رحمة الله عز وجل .

الموقف الثاني

إبتلاء النمرود فى موقف مع الخليل عليه السلام

إبتلى النمرود بن كنعان وكان ملك بابل فى موقف مع خليل الله إبراهيم ، حيث أن إبراهيم عليه السلام تحداه بأن رب العالمين سبحانه وتعالى قادر على الإحياء والإماته ، فلم يسلم النمرود بهذه القضية ، وقاس بعقله أنه هو أيضا قادر على ذلك ، وأنه يستطيع أن يحيى ميتا ، ويميت حيا فقاس بعقله تلك القضية ، أنه يأتى بالرجلين قد إستحقا القتل فيأمر بقتل أحدهما فيقتل ويأمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل فذلك معنى الأحياء والإماتة فى مفهومه المحدود القاصر فلم يسلم بالقضية التى جاء بها نبى الله إبراهيم عليه السلام وهى قدرة الله على الإحياء والإماته عندما رأى منه الخليل قصر النظر ومحدودية العقل ، حاجه بحجة أخرى بأن الله سبحانه يأتى بالشمس من المشرق ويخرجها كل يوم من هذه الجهة ثم يذهب بها الى جهة المغرب فأفحمه بإن كان إلاها أن يأتى بالشمس من جهة المغرب ،فى طلوعها ، فأفحم هذا المعاند والمجادل الكافر وبهت قال تعالى { ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحى ويميت قال أنا أحى وأميت قال غبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين }[1]

---

(١) البقرة ، ٢٥٨